

القس كيف يكفر عن ذنبه، وبعد ذلك يمنحه المغفرة.⁽¹⁰⁾ هذا النموذج نجده عند القديس أوغسطينوس...

هناك ثانياً الرّغبة في وضع تقليدٍ أو سنّة، أي أنّ الذي يُترجم لنفسه يتقدّم كنموذج يُحتذى، فتكتسي التّرجمة بصفة صريحة صبغة تعليمية. نجد هذا الدّافع في ترجمة برزويه الطّبيب (الواردة في كليلة ودمنة) وكذلك في المنقذ للغزالي.

هناك ثالثاً الاعتقاد بأنّ الأحداث التي عاشها صاحب التّرجمة مثيرة وجذّابة، وهذا ما يبرّر كتابة الرّحلة. إنّ من يسافر بعيداً يحب رواية ما شاهد، وفي أغلب الأحيان تكون الرّواية شفوية، إلّا أنّ الرّحلة يقدر لها أن تكتب إذا كان صاحبها مؤلفاً معترفاً بقيمته.

لا أظنّ أنّ الدّافع الأوّل (الاعتراف بالذّنب) واردٌ في كتاب ابن خلدون. ولا أظنّ كذلك أنّ صاحبنا كان يعتبر نفسه نموذجاً ينبغي تقليده، إلّا أنّ هذه المسألة جدّ معقّدة.⁽¹¹⁾ يبقى الدّافع الثالث : هل ترجم ابن خلدون لنفسه لأنّه يعتقد أنّ حياته مليئة بأحداث ومواقف تستحقّ أن تُسجل ؟ هذا مما لا شك فيه، وهنا نجد التبرير الأساس لكتابة السيرة : الشهادة. ابن خلدون عايش أحداثاً سياسية وشارك فيها ومن واجبه الإدلاء بشهادته، خصوصاً وأنّ هذه الشّهادة نابعة من شخص ذي امتياز لأنّه بحكم معاشرته لذوي الأمر كان في موقع يسمح له بمراقبة ما يجري عند من يصنعون التاريخ. لذلك فإنّ «الأنا» الذي نجده في التعريف هو «الأنا» التّاريخي، المشارك مع آخرين في أحداث تاريخية معينة.

(10) فوكو، ص. 26 وما بعدها.

(11) لأنّها مرتبطة بالأسئلة التالية : ما هي العبرة من كتابة التعريف ؟ ما هو الدرس الذي يسعى ابن خلدون إلى بلورته من خلال تأليف ترجمته ؟ هل في التاريخ حقيقة، أو غاية، تسعى الجماعة إليها ؟ ما هي العلاقة، عند ابن خلدون، بين النّظرة إلى الفرد والنّظرة إلى الجماعة ؟ ما الفائدة من كتابة التّاريخ، سواء أكان هذا التّاريخ فردياً أم جماعياً ؟